يدين ملطختين بالكرز

للكاتبه: نورهان عبد الواحد

بتاريخ:12/6/2013



" أُخذ على سهوة من بين أحضان اطفاله، لم تكن تلك الجريمة الفعلية التي ارتكبها عم حسين، ولكن كانت الجريمة الحقيقية هي انه اشترى كيلوا كرز من على عربه في الشارع بثمن بخس دراهم معدودة، وحينما سمع صوت صراخ من الطابق الذي يعلوه ينادي شجاعته ليهب لنجدة من استغاث به، فماذا فعل الكرز بذلك المسكين؟ "

عم حسين رجل فقير، يبلغ من العمر 30 عاما، يعمل بناءً في رفع الصخور والمواد البنائية، رجل ملئت وجهه تجاعيد البؤس وأيام المر بسبب قله المال الذي يوفره لعائلته، هو رجل يكد ويكدح ليوفر رغيف الخبز لأطفاله، رجل يملك عائلة لا ترضى سوى بالقليل، فالكثير بالنسبة لها سيعطيهم سعادة لن تدوم مثل تلك، عائلته محبوبه من جيرانه المحيطون به، تفيده هي زوجته التي تعتني به في المنزل وتهتم به، نغم هي فتاة الاحدى عشر عاما، اما فارس فهو رجل المنزل في غياب والده حسين، شاب يبلغ من العمر السادسة عشر، حمل الهم على اكتافه مبكرا، فهو أيضا يعتني بعائلته وأحيانا يذهب بدلا من والده الى العمل إذا ما مرض والده.

في يوم اشرقت فيه الشمس صافيه، ومناديه بيوم جديد يبعث في النفس الامل والسعادة وحب الحياة، ذهبت تفيده زوجته لإيقاظه من سباته العميق.

تفيدة: حسين قوم هتتأخر على شغلك

حسين: حاضر يا تفيده انا قايم اهو

استيقظ حسين من نومه مغادرا دفء وسادته ومرتبته رغما عنه، ليبدأ يومه بفأسه، سعيا وراء لقمة العيش، اغتسل وجهه وتناولت العائلة الفطور سويا، وكما اعتاد عم حسين توصيل نغم وفارس لمدارسهم، اخذهم معه واوصلهم، ثم ذهب الى عمله ورحب بأصدقائه في العمل، وبدا عمله بصدر رحب.

وبعد انتهائه من عمله كالمعتاد في وقت متأخر بعد منصف الليل، وفي طريق عودته للمنزل حاملا في جيبه مالا يرسم به ابتسامة بقطعة حلوه على أوجه اطفاله، رأى عربه يباع عليها الكرز بثمن قليل بسبب قرب انتهاء موسمه، فأغراه الكرز بلونه الأحمر الدموي ورونقه كباقي الناس التي ذهبت لذلك البائع لتشتري منه، فذهب هو بدوره ليشتري بعضا لعائلته فقد اشتهاها.

وبعدما اخذ الكرز من الرجل ودفع له المال، عاد الى منزله بابتسامة مشرقه.

حسين: تفيده انا جيت وجبت معايا كرز وجبنه وعيش جهزي الطبلية عشان نأكل

تفيده: حاضر .. يلا يا نغم ... يلا يا فارس .. يلا يا ولاد عشان نأكل

قامت تفيده بإحضار الطبلية، فقد أفقدهم الجوع حيوتهم ونشاطهم الصباحي، واثناء تناولهم للطعام وضحكاتهم التي يسمعها الجيران كل يوم، وإذا فجأةٍ حدثاً ما قد طرق باب المفاجأة.

صراخ شديد، " انجدوني، انجدوني، سيقتلني، النجدة " هكذا سمع حسين وهو يتناول طعامه من الطبقة التي تعلوه.

حسين: تفيده مش ده صوت ماجدة جارتنا الي سكنا فوقنا يا ترى في ايه؟

تفيده: روح شوف في ايه يا حسين بس خلي بالك

ماجدة امرأة عجوز ذو 50 عاما، مديرة منزل كبير يكفل يتاما، تنفق عليهم وتعتني بهم، وتعطيهم لوالدين صالحين سيكفلونه ولا تنساه هي، لتظل تطمئن عليه وسط عائلته الجديدة، امرأة مات زوجها واطفالها في حادثة مأساويه، وافنت عمرها الزهري في الاعتناء بهؤلاء اليتامى وتربيتهم والانفاق عليهم هكذا هي عشقت أسلوب حياتها البسيطة والهادئة.

ذهب حسين دون رهبة من هول الصوت الذي اخذه الى باب شقتها، ذهب وقد طرقت شجاعته باب شقة جارته ماجدة الذي وجده مفتوحا وقد سمع صوت اقدام وطأة درجات السلم الى الأسفل، فدخل يتجول في الشقة بحثا عنها ليعرف ما حدث.

حسين: مدام ماجدة انتِ كويسه .. مدام ماجدة انتِ ...

صدمه أوقفت الدماء التي بدأت تهرول مسرعة في عروقه وهو يناديها بعد ذلك المشهد الذي امام عينه!

غرفة تعمها الفوضة، فوضى مزريه لم تطرق باله، ملابس في كل مكان، اما ما هو أفظع من ذلك هي الدماء التي كانت تنزف من بدن السيدة ماجدة.

ثم لم يلبث الى ان وضع يده عليها يحاول ايقاظها إذا ما كان مغما عليها ظنا منه انها جرحت بسكين ما فأقدها كثرة الدم الوعي، وبدأ يبحث عن الأداة الى ان وجد اداة بجانبها فامسك بها، ولكن سرعان ما القى بها على الأرض في ذهول بعد ما وجد الشرطة حوله.

الضابط: اقف مكانك! انا شرطي اياك تتحرك من مكانك عشان ما اضربش رصاص عليك

حسين: انا عملت ايه يا حضرة الضابط؟ انا كنت باكل مع عائلتي في شقتنا وسمعت صوت صراخ جيت اشوف ايه الي بيحصل!

الضابط: انت فاكر أنك تقدر تضحك عليا؟ امال الدم الي في ايدك ده ايه!!

حسين: دم!

في دهشة كبيره، القى حسين بنظره على يده ليرى إذا ما كان قد قاله الضابط صحيح ام لا ؟!

نظر الى يديه وإذا بها لون احمر دموي، نعم انه ماء الكرز الذي لطخ عم حسين يديه به وهو يلتهمه بشهية ولذه.

حسين: ابدا يا حضرة الضابط ده من الكرز الي كنت باكله، صدقني هي دي الحقيقة

ماهر: هنعرف ده في قسم الشرطة ان شاء الله

في ذهول ولا وعي منه بما يحدث حوله، اخذه الشرطي الى العربة، متجهين نحو قسم الشرطة.

واثناء نزولهم على الدرج لاحظت زوجته تفيده وأطفاله الموقف، حاول فارس ان يضرب الضابط ظناً منه انه يأخذ والده بغير وجه حق، وبكت نغم وتفيده من شده هول الموقف عليهم، وصدمت شديده مما يحدث والذي لا تفسير له حتى الآن! .

طلب حسين من فارس ان يهدا ويأخذ اسرته الى الداخل ويعتني بهم جيدا، فسياتي في نهاية اليوم للمنزل، هناك فقط سوء تفاهم هو ما قد حدث، مسكين حسين لا يعلم الجريمة التي اوقعته فيها حبات الكرز الماكرة التي اغرته ليشتريها.

" هل سيصدقون ما سأرويه لهم، هل سأذهب الى بيتي لأنام في سريري اليوم، واستيقظ الى عملي صباحاً؟ " هكذا هي دارت الأفكار في عقله في تلك اللحظات قبل ان يبدا الضابط في الحديث.

في المكتب او قسم الشرطة كما أطلقوا عليه:

مصلحي جالس على الكرسي بتكبر وتعجرف وانف تكاد ان تطال السماء بعلوها، والكاتب الذي سيكتب الجريمة يجلس بجانبه،

منتظرا كلماته لبدا التحقيق في الجريمة، يقف امامه حسين بنظرات بائسه معلنة استسلامها امام هذا الجبروت، والذي يعرف انه لا مفر منه،

فهي غابه تأكل فيه الأسود الغزلان، وقف حسين بيديه الملطختين بالكرز، وهو لا يعرف ما الجريمة الملقاة على عاتقه، وقف في حيرة لا يعرف ماذا يفعل؟ وفيما يفكر؟ او حتى ماذا سيحدث؟

مصلحي: انت دلواتي متهم بجريمة قتل عن عمد

حسين: ازاي! صدقني الي على ايدي ده زي ما قولت للضابط كرز حتى دوقه!

اما مصلحي فهو عقيد بمعنى آخر شرطي فاسد، ولكن لا أحد يعلم بذلك، فبعض اعماله مأخرا والتي لم يسجن فيها المجرم الحقيقي نجحت وحكم على من لا يستحق هذا الحكم، وأعطيت الحرية لمن لم يقدرها، هو من اسرة غنيه ويملك اسرة تعيش حياة رغدة، يملك ساره طفلة تبلغ سبع سنوات وسحر فتاة تبلغ الثالثة عشر من عمرها، ولكن الى أي مدى يصل الجشع بالبشر؟

لم يجد مصلحي مفرا منه سوى ان يتذوق ما على يده، وما كسر غروره بداخله، هو طعم الكرز الذي استطعمه في فمه، ولا يستطيع انكاره، فكر في الترقية التي يريدها والمال الذي يطمح له، وان تلك القضية الكبيرة ستعود عليه بالكثير، فإن تركه يذهب الى منزله الليلة، فالسلطة والمال سيفقدهم حتماً، جشع لا طمع بل دموي هو ذلك الشخص الذي لم يبالي بذلك الفقير الذي ملئت البراءة عيناه وجفاف وخشونة يديه التي تدل على المشقة التي هو فيها، فماذا يفعل الطمع بعقول البشر وحياة آخرين؟؟

مصلحي: اكتب يا بني .. انه في تمام الساعة الثالثة فجرا بتاريخ 19-5-2009 انه تم ضبط واحضار المجني عليه والذي يطلقون عليه حسين، في شقه ماجدة المجني عليها، ويتم حبسه 10 أيام على ذمة التحقيق

لحين عرضه على النيابة، وارسال عينه من الدماء الملطخة بها يده الى المعمل الجنائي، ويتم عرض المجني عليها للطبيب الشرعي لمعرفه سبب الوفاة، ويغلق المحضر على ذلك في يومه وساعته.

الكاتب: سيدي ولكن ..

مصلحي: ولكن ماذا اليس هذا ما حدث! ام ان هناك حدث آخر؟ قالها بتعجرف وعصبية ولا مبالاة

تذكر الكاتب اطفاله وعائلته خوفا ورعبا من ذلك الضابط الفاسد وتجنبا للمشاكل

الكاتب: نعم سيدي هذا ما حصل

قالها مطأطأ رأسه في الأرض ذلا وخضوعا لأمر هذا المتعجرف، قالها وقلبه يتقطع على ذلك الفقير الذي من ثوبه، والذي يعرف ان اطفاله بحاجه اليه، ولا جريمة ارتكبها في حق غيره، ولكن لا شيء بيده سوى الاستسلام للأوامر التي يعرف ان لا سبيل للهرب منها بعيدا.

مطلحي: ينادي على فرغلي ... تعالا خده للزنزانة بتاعته

فرغلي: هو رجل مفتول العضلات وقوي البنية الجسدية، وهو المسئول عن السجن والمساجين وإبقاء الأوضاع بينهم آمنه الى اقصى حد.

ذهب حسين مع السجان الى حيث لا يعرف اين تأخذه قدميه، الى حيث أحس ان هناك جحيم ينتظره خلال ساعات، ذهب وبرود دمه الثلجي الذي تدفق من قلبه من شده الخوف يسري في جسده، ليفقده الوعي أكثر من السابق، احداث وسلسله لا يعرف كيف بدأت، وكيف تجري، وكيف ستنتهي!، وساعات لا يعلم ما تخبئه له،

ولا الأيام في ظل الظلام الذي يسكن زنزانته، وهو يجلس فيها وحيدا، ويحاكي الجدران عن فقره وتعاسته، وقله حيلته واستسلامه التام للقدر.

يحاكي الجدران عما إذا كانت تشعر بألمه، فلم يجد البشر قد شعروا به، ويحاكي الاصفاد إذا ما احست بجفاف يده وخشونتها من كده، فقد تجاهلوها بإرادتهم، ويحاكي الباب إذا ما قد هان عليه ان يغلق على ذلك الفقير في ذلك المكان المظلم والذي لا أحد معه سوى ربه، فلم يهن على ذلك الضابط ذلك الرجل المسكين بأن يقحمه في جريمة لا يد له فيها من البدايه.

نام وقد اهلكه التفكير في حال اسرته من غيره، نام وقد أدمع قلبه قبل عينه على فراقهم ودموعهم الغالية التي سقطت امام عينه، نام ويده ترتعش خوفا لا يعرف ما مصيرها، نام وقد أرغم رموش عينه ان تغلق وهو لا يعلم إذا ما كان سيرى نور الشمس من جديد ام لا، نوم لا راحة فيه، فقد ألم يأرق نومه، رجفة تزيد ضربات قلبه، وخوف يقيد تفكيره ويزيد تجاعيد بؤس وجهه، وصوت بداخله في كل لحظه يخبره ان رحمة ربه قادمه فصبرا جميلا.

صباح اشرقت فيه الشمس مطرقه أبواب عينه لتيقظ من التغفيل الذي استطاع ان يريح نفسه من ارهاق التفكير بضع ساعات، ارتفع جفن عينه ببطء ودار بنظراته في كل الانحاء ليتفحص المكان الذي يحيط به، لعل ذاك الفكر الضال انه كابوس بشع استيقظ منه يصيب اليوم ولكن الواقع لا مفر منه الآن، انينه كانت تسمعه اجدران من الام ظهره التي سببتها نومه الأرض التي لم ترحم حاله وعذبته هي الأخرى، مرت عليه الساعات كانها سنوات فيظل هذا الصمت القاتل ،والذي يأبه حتى الرد على اسألته التي لم يكتب النهايه لها، ولا حتى التهوين عليه من حال لم يأتي في كوابيسه حتى ان يعيشه، في ظل ذلك الصمت الذي لا وصف له .

فرغلي: قف تحرك يلا في زياره لك

حسين: زيارة! في دهشة منه .. طيب حاضر

وذهب فرغلي بحسين الى غرفة الزيارات والاستفهام يملا راس حسين حول الشخص الذي يود ان يزوره

وما ان دخل الغرفة حتى رأى رجل غريب ملابسه مبهدله ومبقعه تدل على فقره وبؤسه ولكنه يبدوا عليه في مقتبل العمر.

فرغلي: ادامكم ساعتين تتكلموا فيها وهيخدك على السجن تاني

حامد: اهلا يا حسين انا حامد

حسين: اهلا بيك انت تعرفني؟ وعايزني في ايه!

حامد: ما تستعجلش انا هعرفك بنفسي دلواتي

انا حامد25 سنه شاب فقير لا يملك حتى ثمن رغيف العيش الذي يمكنه ان يسد جزء من حاجته للطعام، فذهب يسير في الشارع ينعى حظه التعيس الذي رماه في هذا البحر المتلاطمة امواجه، يفكر بياس في حاله الذي يثرى له، بدايه من ملابسه التي اشتكى القماش من لين خيوطها التي تسبب القرع بها وفمه الذي تقشفت وتشققت خلايا شفتاه من قله المياه والطعام، وقدمه التي تشققت من كثرة ملامستها لصخور الأرض في مشيته، ونهاية منزل لا أبواب او جدران له ،لأنه يسكن على ارصفه الشارع لا يملك منزلا يدفئه من برود مشاعر البشر والجو القارس ، و حرارة كلامهم الجارح وحرارة الشمس القاتلة.

وبينما هو يسير في الشارع يحدث نفسه عما آل اليه وجد امرأة عجوز بيدها حقيبة فسرقها واستطاع الفرار بها، وعندما وصل للمنزل وجد بها مال وفير يسد حاجته من الطعام والملبس وبدء يصرف من هذه الأموال ويشبع رغباته حتى انتهت منه في وقت مبكر مما كان يتوقع هو، وبعد ان ذاق طعم السعادة والراحة بغض النظر عن تأنيب الضمير الذي أحس به لأنها كانت المرة الأولى في حياته التي يقبل فيها على فعلة بهذا السوء، عاد مره أخرى الى حيث كان من الصفر والبؤس من جديد، وكأنه اخذ استراحة منه ليكمل دوره من جديد.

وبينما هو يسير في الشارع واذا به لاحظ تلك السيدة من جديد التي سرق منها الحقيبة في المرة السابقة، ولكنها تمسكها بطريقه ماكرة لكي لا يستطيع ان يسرقها منها هذه المرة، واذا بأفكار مجنونه بدأت تنتابه في هذه اللحظات السريعة، حيت طرق على باب فكره ان يتتبعها الى المنزل، فاذا كان بحوزة حقيبتها مال وفير، فلابد ان ببيتها مال اكثر سيسد حاجته للطعام والملبس لفترة أطول من السابق، وبدا يسأل الجيران عنها بخبث فعلم منهم انها من الاغنياء، بدأت تكبر الفكرة في راسه يوم تلو الاخر، حتى جاءت به اللحظة الحاسمة ان يسرق المال الليلة ويهرب به لمنطقه بعيده حتى لا تعثر الشرطة عليه.

وعندما جاء المساء وفي ليله كان القمر فيها بدر قرر الذهاب، وطأة قدمه الأرض بخوف هذه المرة، ليس بقوة مثل السابق وبدا يمشي وكأنه يسحب نفسه نحو الامام رغما عنه بدلا من ان يمشي واثقا من نفسه كسابق عهده، وبعد ان وصل للمنزل الذي تسكن فيه، صعد الدرج بخيبة امل، نعم فلم يكن يأتي على باله يوما ان يصل به الحال لما وصل له في تلك الليلة التي لا يستطيع نسيان حتى ادق تفاصيلها.

صعد الدرج سلمة سلمه واحده يخبر نفسه فيها انه يستطيع ان يفعل ذلك وانه بحاجه لذلك المال، والأخرى يندب فيها على نفسه وللحال التي آلت اليه نفسه، واستمر الحال على ذلك الى ان وصل الى باب شقتها، تردد في البداية بضع ثواني عن هذه الجريمة، ولكنه لم يسلم من شيطانه، فطرق باب شقتها بهدوء وهو لا يعلم ما الذي سيفعله بعد ذلك، فردت من وراء الباب.

ماجدة: مين الي بيخبط

حامد: في زباله اخدها النهرده يا انسه ماجدة؟

انتابه ماجدة لحظات صمت قليله فهي تعرف صوت البواب الذي يأخذها منها كل يوم، فقالت لنفسها سأفتح الباب لأرى من الطارق وماذا يريد، وما ان فتحت الباب ورأته بدأت تحادثه.

ماجدة: انت مين يا ابني انا اول مره اشوفك!

بدا يرتبك هو ويتصبب عرقا من الرعب فقد احس انها كشفت امره وسيقبض عليه سريعا، فوجد نفسه يرد تلقائيا لينقذ الموقف كي لا يفضح امره .

حامد: انا حامد أخو محمد البواب حضرتك أصله تعبان اليومين دول فطلب مني أقوم بالشغل بداله

ماجدة تعجبت من كلامه فعندما رأته في الصباح والقت عليه السلام لم يبد عليه التعب ولكن قالت في نفسها لربما مرض فجأة ولم تعرف، او لم يعلمها أحد ان اخاه هو من سيتسلم العمل

حامد: هو ما لحقشي يقولك عشان هو مرض فجاه واخدته زوجته على البلد عشان يشوفه قربهم الدكتور أصل مصاريف الدكاترة الي هنا مش هيقدروا عليها حضرتك

ماجدة: ماشي يا ابني ربنا يقومهولك بالسلامة ان شاء الله مش مشكله

وما ان ذهبت لتحضر كيس الزبالة له من المطبخ، علم هم انها فرصته ليأخذ المال فدخل متحسبا بهدوء للداخل، يبحث بنظرات عينه السريعة على أي مخبأ للمال في اركان الشقة، واذا به لاحظ في غرفه نومها خزانه، واذا به احس بخطواتها قادمه نحو الباب، فخرج مسرعا لمكانه محاولا إخفاء انه يلتقط أنفاسه ليشعرها ان الوضع آمن.

ماجدة: اتفضل الزبالة اهي يا ابني

اخذها حامد منها والقى بها في أقرب صندوق قابله وذهب الي بيته يفكر بتلك الخزنة وكيف له سيسرق ما تحويها فحتما ستحوي الكثير، فخطط لتلك العملية لليلتين كاملتين مدركا لكل عواقبها والمخاطر التي يمكن ان تصادفه في هذه الليلة المنتظرة.

في اليوم التالي بعدما حلم طوال الليل بها وانه وجد بها المال الكثير والذهب والذي جعله مستيقظا في الصباح بوجه بشوش وغاية كبيره ان حلمه سيتحقق أخيرا، ذهب للمنزل وبدء يدرس موقعها ومن اين سيدخل وكيف سيصل ومن اين سيهرب وما الى ذلك كله، حتى اظلمت عليه السماء وطل القمر مناديا له ان الليل قد جاء وحان موعد حلمه ان يتحقق، فاخذ كل ما سيحتاجه وارتدى ملابسه استعدادا لتلك السرقة التي خطط لها كثيرا، حتى جاء منتصف الليل موعد بدايه حلمه، او كما أطلق عليه هو بداية ميلاده أو سطر جديد في كراسته.

سلك الطريق لمنزلها وهو يرسم كل أحلامه على تلك الخزنة التي لا يعرف الكم الذي تحويه بداخلها، صعد السلم الخلفي للمنزل في عتمة الليل كي تخفي ملامحه وتخفي الجريمة التي يرتكبها، صعد الدرج كالأرنب الذي ربطوا له في نهاية الحبل جزرة، فذهب يركض ليمسك بها دون وعي منه بما هو ينتظره، حتى وصل الى شرفة الغرفة ورأى من وراء الزجاج انها نائمه فيها، ولكنه لم يبدي أي اهتمام للموضوع، وبدء يخرج مفكه محاولا ان يفتح النافذة حتى استطاع ان يفتحها، فبدى على ملامحه بدايه علامة السعادة.

ثم دخل من النافذة وبدء يتسحب بهدوء كي لا ييقظها من سباتها العميق، وبعد ان وقف في الغرفة ظهرت السعادة على وجهه، فذهب الى الخزنة في سكون وصمت خفي مرعب ،و بدء يخرج ادواته كي يفتحها، قضى بضع ساعات محاولا بكل جهده ان يفتحها حتى بدا يتصبب عرقا، واذا بها فتحت، اكتملت علامة السعادة على وجهه ما ان علم انه استطاع فتحها، ولكنها لم تلبث الكثير حتى رأى انها خاليه لا مال بها ولا ذهب كما كان يحلم، ومن هول الصدمة عليه واذا بالأداة تسقط من يده، وصوت مرتفع احدثته تكل الأداة بوقوعها ، فاستيقظت هي بدورها من النوم لترى من يحدث ، واذا بها تجده امامها وخزنتها مفتوحه، حاولت هي ان تتدارك الموقف انها كانت تسرق وهي نائمه، وهو بدورة لم يكن على دراية بما يحدث حوله وان الامر قد كشف وذهب كل شقاءه هباء وسط الرمال ولم يجدي منه نفعا.

فصرخت بأعلى صوتها مطالبه بالنجدة، وهمت عليه بالضرب كي تنقذ نفسها، حاول هو ان يدافع عن نفسه، في حين وجدت هي نفسها تحاول خنقه ظنا منها انه سيقتلها ليس انه جاء ليسرق المال فقط، فحاول هو الاخر ان يدافع عن نفسه فوجد نفسه يلتقط الأداة التي سقطت من على الأرض، وطعنها بها، لحظات هي كانت من أصعب اللحظات التي مرت عليه.

هي تلك اللحظات التي كان يشاهدها فيها وهي تفارق الحياة وانفاسها الأخيرة تخرج منها في ذاك الوقت، في ذهول منه من هول الموقف كان يشاهدها وروحها تفارقها، وجسدها بدء يخور موحي بانتهاء صلاحيته في هذه الحياة.

وفي تلك اللحظات العصيبة التي هو يمر بها وهو غير مدرك لكل ما يحدث حوله، ولكن عقله أخبره انه يجب عليه ان يذهب الآن والا قضي عليه، وما ان خرج من المنزل ووصل للدرج حتى رأى رجل قد ذهب ليتفقد الامر، فنزل من الدرج سريعا كي لا يفضح امره.

في اليوم التالي، كانت علامات البؤس والحزن على وجهه من تلك الليلة التي مات فيها حلمه الزهري، وعاد الى نقطه ما قبل الصفر فلم يصبح ذلك الفقير المسكين كسابق عهده.

وإذا به في يوم كان يمشي في الشارع سمع بائع الجرائد ينادي بخبر عاجل قد سطر فيها، وإذا به يلمح صورة السيدة التي سرقها، فذهب يشتري واحده ليعرف ماذا كتب عنها، فبدء يقرئ الخبر وهو في ذهول تام، فقد اكتشف ان تلك السيدة كانت ترعى يتاما وانهم كانوا من اشد الناس حزنا عليها، وان الرجل الذي سجن له عائله قد مرضت زوجته من كثرة حزنها عليه.

حامد: هي دي يا سيدي قصتي كلها اكيد عرفت دلواتي انا مين

حسين: اه عرفت بس انت ليه جيت واعترفت ليا بده كله

حامد: عشان انا الي مفروض أكون مكانك دلواتي وانت انظلمت وانا جيت أتأسف ليك على الي حصل وأتمنى تسامحني وانا هعترف للضابط بكره أنى انا الي عملت ده كله واطلعك من الي انت فيه ده

حسين: مسامحك وان شاء الله يخففوا عنك العقوبة عشان ده كان دفاع عن النفس وحصل خير

وتصافحت الايدي والابتسامة رسمت على وجههم في آن واحد والاحضان التي جعلتهم يتناسون كل الاحداث التي جرت.

ولم تدم طويلا حتى جاء الشرطي ليصحبه لزنزانته من جديد كما قال له، ذهب لزنزانته وبدء يرسم علامات السعادة على وجهه من جديد بهذا الحديث السعيد، نام في تلك الليلة مرتاح البال والخاطر، راسما لمستقبله رسمة مبهجه موحية بأيام سعيدة ينتظرها ما ان يخرج من هذا المكان.

في اليوم التالي سقطت دموعه امطارا، بل سيولا، لحظه سارت فيها قشعريرة في جسده، لحظات ماتت فيها روحه قبل بدنه، لحظات تهدمت فيها أحلامه دفعة واحده وتهدمت اضلعه واحده تلو الأخرى معه في كل لحظه، اللحظة التي أخبره فيها فرغلي بوفاة صديقه حامد الذي اتى لزيارة بالأمس.

عينين بدت عليهم الهزلان والارهاق طيلة اليوم، ويدين بدأت ترتعش وترتجف كلما تذكر ما حدث، لم يكن يعلم أي حظ ينعى، الحظ الذي رماه في السجن بسبب عقيد متعجرف وحظ عثر، ام حظ جعل القدر قدرين قدر ان يموت سبيله الوحيد في الخروج وقدر ان يحكم عليه ظلم ويذهب كأضحية في العيد سجنوا منها المال.

علم في تلك اللحظة انه سيلقى حتفه حتما فلا هروب من ذلك القدر، فسلم امره ورضي بما قدر له، وكان كل ما يفكر به هو عائلته التي لا يعلم أي حال ستصل اليه من دونه.

مرت العشر ايام التي لم يكن يعلم ما هو مصيره الذي سيلقاه فيها وكيف سيجري الامر، وجاء اليوم الذي سيعرض فيه على النيابة العامة لمعرفة ما هي طبيعة الجريمة ، فجاء فرغلي لأخذه من الزنزانة واصطحابه لغرفه النائب العام ، علم وهو في طريقه للغرفة انه صديق للعقيد مصلحي، دخل الغرفة لبدأ استجوابه وهموا عليه بالأسالة سريعا ووجد هو انهم لم يقفوا في صفه بل في صف الضابط الفاسد، وبعد ان استجوبه اثبت الضابط انه هو المجرم وان الأداة تعود له وان الدماء التي وجدت هي من فصيله دمه وانه يتم تجديد الحبس له 15 يوما لحين عرضه على المحكمة.

لم يصدم هو كثيرا فهذا هو ما كان يتوقعه بالتأكيد فلم يكن يتوقع انه سيعود للمنزل بعدما مات الامل الذي بعث الروح في جسده من جديد، فعندما علم برحيل الرجل رحلت روحه معه فلا سبيل للهروب.

مرت أيام طويله وهو يدعى ربه ان يعتني بأسرته واطفاله، الى ان جاء اليوم الذي سيعرض فيه على المحكمة، مرت الساعات والمحامي الذي وكل له بدء يدافع عنه، والقاضي لا دليل ملموس امامه يمكنه ان يرجعه عن الحكم المنتظر، وهو بدورة استسلم لقضاء ربه ورضي فلا مفر منه.

طرق القاضي بمطرقته على المكتب قائلا محكمه، اللحظة التي ينتظر فيها العديد الحكم الذي سيطلقه القاضي عليه، حتى اسرته حضرت تلك الجلسة لتعلم الي اين تأخذهم الحياة، وإذا به يخبرهم، حكمت المحكمة على المجرم حسين بالإعدام شنقا ورفعت الجلسة.

حزنت اسرته لذلك الخبر حزنا شديدا وألما، ولكنها لم تيأس يوما من رحمت ربها ان ينقذه من ذلك الظلم الذي هو اعلم به، استسلمت هي الأخرى للقدر راضيه بحالها تنتظر المصير.

مرت أشهر بعد ذلك كان ينتظر في كل يوم قدره، الذي كان على يقين ان لا سبيل للهرب منه، وجاء اليوم الذي جاءوا واخذوه من زنزانته، لم يكن حزينا كما توقعوا كان اقل حزنا فهو كل يوم كان يمر كان يعلم انه حتى ان رحل فسوف يعتني ربه بهم فهذا خير لهم وله، واصطحبوا حسين للمشنقة، وقلوبهم تقطعت وهم امام الرجل الذي ملامحه قد كتبت عليها البراءة والطيبة وان ذاك يكون القدر، وذهب الى ربه وترك الدنيا بصدر رحب وقلب حزين.

أي عزاء هو يكفي تلك الأسرة المسكينة التي تفتت كرات دمها بعدما سمعت ذلك الخبر، أي دية هي تكفي تلك الأسرة التي ضاع عمرها بين قطرات مياه البحر بعد ذلك القول، واي دموع هي تطفئ النار التي اوقدت في قلوبهم، أي حديث هو سيبرد حرارة أجسادهم التي شاحت وهزلت وخارت، ولا تعلم ان كانت هي هذه النهاية ام انها بدايه لنهاية مؤلمة أكثر من ذاك.

مرت 3 سنوات قد أنهي فيها فارس دراسته والتحق بكلية الشرطة، فقد حمل حقدا كبيرا لهم لما فعلوه بوالده، وكان يعرف رجلا متقاعدا قد تفنن في عمل عمارة كبناء بعد وفاة والده فطلب منه انه يريد ان يلتحق بكلية الشرطة فساعده، ومن الناحية الأخرى كانت سحر هي الأخرى قد التحقت بالجامعة واختاره التدريس، ومرت سنوات وأخرى تشببها قد وصل فيها فارس وسحر لبدأيه طريق الحياة على ارض الواقع فقد أنهي هو الشرطة وأصبح شرطي وأنهت هي كليتها فأصبحت مدرسه للغة الإنجليزية.

في يوم اختفت فيه نور الشمس ليطل القمر بضوئه، كان فارس يمشي سيرا على الاقدام ذاهبا لبيته بعد عناء يوم شاق، وإذا به على سهوة منه تصدمه سيارة كان سوء الجو يعمي زجاجها،

وإذا بسحر هي من كانت تقود تلك السيارة وقامت باصطدامه وطاح على الأرض، فنزلت من عربتها لترى ما حدث له.

سحر: انت كويس .. جرالك حاجه انت كويس!

فارس: اه انا كويس الحمد لله ... بس أبقي خلي بالك المرة الجايه

سحر: حاضر وانا متأسفه بس الجو كان وحش اوي ومكنتش شايفه كويس

فارس: حصل خير خلي بالك بعد كده بس

كان هذا هو اول لقاء بالصدفة لهم، لم يحدث الكثير هذا كل ما حدث بالتفصيل، وبعد مرور عده أيام وذا به يجدها قدمت لمغفر الشرطة ومعها رجل مسكين فنظر لهم باستغراب لا يعلم ما حدث، فهم بسؤالها.

فارس: ايه الي حصل يا سحر هانم خير ان شاء الله؟

سحر: كنت تعبانة وانا سايقه فخبط الراجل ده فأصر انه يشتكيني

سال فارس الرجل بشكل ودي كيف يمكننا حل هذه

الم\سالة، فاتفق معه ان تعطيه بعض المال وسيكتب محضر صلح بذالك وينتهي الموضوع، فوافق الرجل وكانت سحر فرحة بذلك كثيرا، فكتب المحضر وأنهى الموضوع، فجلست معه تحادثه وتشكره على ما فعله من اجلها.

سحر: انا متشكره جدا يا حضرة الضابط انا مش عارفه اودي جمايلك دي فين بس

فارس: ولا جمايل ولا حاجه انا ضابط ومهنتي أحاول أحل الموضوع بشكل سلمي .. انا كنت بقوم شغلي بس

سحر: اعرفك على نفسي انا سحر مصلحي ابنة العقيد مصلحي اكيد سمعت عنه هو دلواتي متقاعد

فارس في دهشة كبيره فلم يكن يأتي على باله ان تكون تلك الفتاة هي ابنة ذلك الرجل الظالم الذي قتل والده بسبب جشعة، فعندما تذكر والده تذكر انتقامه وان تلك هي فرصته لكي ينتقم لوالده

فارس: وانا فارس حسين ليس والدي شخص معروف ولكنه رجل كافح حتى أصبح انا رجلا

اعجبت سحر كثيرا بكلامه وشخصيته وتواضعه، وهو ما ان أحس بنظرات الاعجاب التي جعلت عينها تبرق حتى دار في باله كيف له ان ينتقم لوالده عن طريقها، فاخذ رقم هاتفها واخذوا الوعود انه لابد لهم ان يكون هناك لقاء في يوم اخر في موقف أفضل من ذلك.

ودارت الأيام وإذا به في لحظات صمته جالس على سريره قرب الشرفة يفكر بها وأنها هي سلاحه للانتقام، كانت هي تفكر به وانه هو حقيقة فارس احلامها الذي تمنته ليس اسما فقط، وإذا برنة هاتف فارس تكسر صمت الليل، ليعلم انها هي من تتصل به.

فارس: الو ... عامله ايه يا سحر؟

سحر: الو ... انا الحمد لله كويسه انت اخبارك ايه يا فارس؟

فارس: انا الحمد لله بخير انا سعيد جدا باتصالك

سحر: انا اسعد يا فارس .. انا كنت أتمنى اذا ممكن نتقابل النهرده ونتكلم

فارس: اكيد .. خلاص خلينا نتقابل الساعة 6 في المكان الي تحبيه

واتفقا على المكان والوقت وانتهى الحديث بينهم، هي الفرحة ملئت عينها لأنها ستراه، وهو بسمه الكبر اخذته للانتقام، ومرت ساعات اليوم وتقابلا واخذ الحديث بينهم مجرى طويلا، هي تحادثه عن حياتها بكل تفاصيلها، وهو يحادثها عن معانته ويخفي التفاصيل فكيف لها ان تفهمها، وانتهى اليوم على ذلك وذهبت هي لبيتها، وشعرت ان قلبها يقفز فرحا بذلك اليوم الجميل معه، وهو اخذته السعادة لأنه استطاع ان يقترب منها خطوات كي يستطيع ان يعرف الكثير عن والدها.

مع مرور الوقت كثرة بينهم المقابلات والهواتف ، فكانت هي تزداد حبا له في كل مره، وكان هو يزداد سعادة لأنه يقترب اكثر ويعلم اكثر عنها، حتى جعلته يأتي لمنزلها يوما فقد نسيت هاتفها فيه بعدما خرجت ولم يكن احد بالمنزل ، وكانت هذه بالنسبة له هي فرصة عمره كي يبحث عن أي دلائل او وسيله تساعده على الانتقام لوالده، فرى الخزنة في غرفه علم منها انها غرفه والديها ، وبعدما وجدت هاتفها خرجوا ليكملوا ما تبقى من يومهم، كان في حديثهم، هي تحكي له عن آلامها وبعضا من اسرارها ، وهو في وادي اخر يفكر كيف له ان يصل لما بداخل الخزنة كي يأخذ فرصته.

مرت بضع ليالي كان يخطط لتلك الليلة التي سيذهب ليفتح تلك الخزنة، فحتما سيعثر على ما يفيده بداخلها، فعلم منها ان هي وأهلها سيذهبون لرحله للشاطئ غدا، طلبت منه ان يذهب معهم ولكنه رفض القدوم ، وظل في الليل يخطط لذلك اليوم ، وما ان ودعته هي فالهاتف وعلم انهم قد ذهبوا، وها هو حظه بدا يبتسم له لينتقم من والدها لوالده، ذهب لشقتهم ووصل للخزنة بعد معاناه كي لا يراه احد، فاخرج ادواته وبدا يحاول ان يفتحها ، وما ان فتحها وجد ما ملا عينه تلألـأ وبريقا، الأوراق التي كان يبحث عنها والتي تدين والدها بجرائم فعلها خفيه، ستجعله يقضي ما تبقى من عمره في السجن الى ان يفنى، اخذها و ذهب لمنزله ونام في سريره والابتسامة لم تفارق شفتاه ، حتى استيقظ في الصباح وذهب يقدم تلك الأوراق للمسؤولين ليبدوا محاكمته.

انصدم المسؤولين بالجرائم التي وجدوها بين أيديهم تدين العقيد مصطلحي، ولم يجدوا مفرا من ذلك غير ان يحاكموه عسكريا، فقد هددهم فارس انهم ان أهملوها او القوا بها فهو يحمل نسخة منها وسيلحقون به، فقاموا بتقديم الورق للمحكمة العسكرية والقى القاضي حكمة عليه بالسجن المؤبد.

كانت سحر في اسوء حالتها، فعيناها الجميلتين زبلت وشح وجهها الناعم وساءت حالتها النفسية، لم يكترث هو كثيرا لذلك فهو يعلم انها عرفت انه هو من فعل ذلك، لم تعرف علاما تبكي بحرقه وينزف عينها بدلا من الدمع دماء، على رجل اعطته كل شيء واسلمت له امرها فاستغلها وخدعها واودى بوالدها للسجن دون أي سبب تجده، ام على والدها التي سيفارق الحياة قريبا، ولن تراه كل صباح ويقبلها على راسها كما اعتادت من سنوات على ذلك.

مرت اشهر وهو كان يمارس يومه بشكل عادي، وفي يوم قابلها صدفه في الشارع بينما هو عائد الى عمله، فاهتز قلبه لحالها ولما وصلت اليه، وشاحت هي بنظرها بعيدا وهرولت بقدمها فهي لم تعد تود رأيت وجهه بعد كل ما فعله بها، وعندما عاد هو لمنزله بدء يشعر بتأنيب الضمير والذنب من ناحيتها، فما ذنب تلك المسكينة في ما حدث، ولكنه بدء يرد على نفسه وما كان ذمبنا نحن بجشع والدها، ولكن كانت الحقيقة المؤلمة انه عندما يقضي معها الوقت كان سعيدا وكان يعلم انه احبها ولكن كان لابد له ان يخفي ذلك وان يجعل كبرياءه يسطر عليه كي لا يضعفه حبه لها، ويستطيع ان يأخذ بطار والده، الذي ظن عندما سيأخذه سيعيش مرتاح البال، ولكن الحقيقة انه حزن على نفسه لما وصل اليه بعدما كان يحلف كل زملائه على أخلاقه وشخصيته البراقة وانه فعلا فارس اسم على مسمى.

اخذته الأفكار من عالمه ودارت به في عالم اخر، عالم تاه فيه لا يعلم ما الخطوة التالية، والى اين هي دوامه الحياه ستأخذه بعد ذلك، وكيف له سيعيش بفعلته هذه، فلم يجد سبيلا غير ان يذهب ليعترف لها بكل ما فعله وان يطلب منها ان تسامحه رغم انها لن توافق حتى على رأيته، وذهب لمنزلها وصعد لشرفه غرفتها، والقى بجواب قد سطر حروفه بدموع قلبه ودماء عينه، يخبرها فيه بالحقيقة كامله سواء تقبلتها ام لا فهو سيرتاح قليلا بأخبارها ذلك، رغما انه يعلم انها يمكنها ان تسجنه هو بدلا من والدها بهذا الاعتراف المسطر بخط يده وتوقيعه.

وما هي ان دخلت غرفتها حتى اختبئ هو بين الشجر حول شرفتها، وبدات تقرا الجواب وتبكي شلالا من الدموع تنهمر من عينها، بل سيولا من الدماء ام إحساس لا يمكن وصفه، لم تعرف هل تبكي على ما فعله والدها بوالده وانه فعل كل ذلك كي ينتقم له ظنا ان ذلك سيسعده، ام تفرح انها علمت انه يحبها ويتمنى ان يعيش ما تبقى من عمره بجانبه وان تسامحه وان يتناسوا كل ما حدث.

رآها تبكي فذهب لمنزله وقد سكن قلبه الياس بعد ما رآه وعلم ان القصة كانت هي تلك نهايتها ولكن القدر دائما يصدمنا بنهاياته، فما ان وصل لمنزله وحاول ان ينام بعدما بكى على تلك النهاية المؤلمة التي وصل لها عقله وقلبه في آن واحد، رنة هاتفه التي اخبرته انها هي من يتصل جعلته يزيد بكاء، فرد عليها.

فارس: سحر ... انا عارف ان انا ظلمتك معايا واستغليتك وقسيت عليكي وخبيت عليكي حبي ليكي بس الانتقام خدني ومكنشي ليكِ ذنب في الموضوع ...

سحر: ما تكلمشي يا فارس.. انا عارفه انت عملت كل ده فيا ليه بس انا سامحتك عشان ابويا ظلم والدك ونسيت كل الي حصل وانساه انت كمان ...

فارس: سحر تكملي معايا حياتك واعوضك عن كل الي ضاع

سحر: اكيد يا فارس انت كنت امنتي من ربنا الي اتمنتها

وانتهى بينهم الحديث وبعدما هي اقنعت والدتها بما حدث وبما هي تريده واخبرتها بموافقتها، ذهب هو لخطبتها وتم كل شيء بشكل جيد وتزوجوا وعاشوا بعد ذلك حياة سعيدة ، فقد نسوا كل ما جمعهم يوما من ضغينة او كره، وجعلوا الحب هو وحده من يسكن قلوبهم.

لم يكن الانتقام يوما ملاذا يرتاح فيه الفكر المدبر لأخذ حقه من ظالم جاء بالغدر على احبابه، وان الجشع لم يكن مصيره في هذه الحياة السعادة يوما بل نهاية هي حتما متوقعه من البداية، يجب ان نتداركها في وقت مبكر، وان الظالم حتما سيظلم ولو بعد حين ، فالعين بالعين والسن بالسن والبادي اظلم، هذه هي قوانين الحياة القاسية فلما لا نسير عليها مطمئنين القلب ، بدلا من ان نلوث أيدينا وقلوبنا وعقولنا بدماء لن تزيلها قطرات الماء، وان السعادة الحقيقة تكمن في اخبار الحقيقة لم نحبهم مهما كان ذلك سيكلفنا الكثير، او ان الوقت قد مر ولن تحدث الحقيقة فرقا، فأخبارها لهم يكفينا ان ذلك سيريحنا قليلا من حملها الثقيل فوق قلوبنا، الحب لا يضعف كما يعتقد البعض، بل يقوي لأنه سيجعله اقوى على احزانه وهمومه ويزرع فيه الشجاعة والإخلاص وافصل الخصال الحميدة، الحب الصادق والذي لا تشوبه شوائب الخداع واللهو والاستغلال ، هو حب عاهد ربه على ان تكون نهايته اجمل من بدايته، نسامح ونغفر بقلب طيب ونفس صافيه، فكلنا نخطأ ولا بشر معصومون من الخطأ، ولكن دع الحياه تعلم بعضهم عواقب اخطائهم وكيف ستعاقبهم هي بدورها ، فمهما طال الزمن انتظر عقاب القدر فحتما سيكون اجمل مما ستفكر فيه انت يوما.

**النهايه**



.